الـعُرْوةُ الوُثقَي
شـهادةُ ألَّا إِلَـهَ إلَّا الله
إِفرَادُ الله بِالـعِبَادَات
والبراءةُ مِنَ الشِّركِ وتكفيرُمَنْ فَعَلـه

(مقتطف باختصار من كتابي الجامع المفيد شرح وتحرير مسائل كتاب التوحيد)

جمع تأليف

محمود بن محمد

غفر الله له ولوالديه ومشايخه والمؤمنين والمؤمنات

1• معني شهادة أن لا إله إلا الله: الاعتقاد والإقرار بالقول وبالعمل أنه لا يستحق العبادة إلا الله، والتزام ذلك والعمل به، (فلا إله) نفي لاستحقاق من سوى الله للعبادة كائناً من كان وما كان ، و(إلا الله) إثبات لاستحقاق الله وحده للعبادات كلها في جميع اللحظات كما قال سبحانه :

(قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) ، وقال جل وعلا (وما أمروا إلا يعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون) ، والقران كله في توحيد الله وإفراده بالعبادات .

ومعنى هذه الكلمة إجمالا: لا معبود حق إلا الله، وخبر (لا) يجب تقديره: بـ(حق)، فقد فُسرت هذه الكلمة بتفسيرات باطلة منها:

(أ) أن معناها: لا خالق إلا الله وهذا جزء من معنى هذه الكلمة؛ ولكن ليس هو المقصود؛ لأنه لا يثبت إلا توحيد الربوبية فقط ، وهو لا يكفي حتي يقرنه العبد بتوحيد الله سبحانه في العبادات ، لأن المشركين في الجاهلية كانوا يعتقدون أن الله هو الرازق الخالق المدبر المالك المصرف المحيي المميت إلي غير ذلك من أفعال ربوبيته سبحانه ينسبونها له وحده لا آلهتهم وهذا كثير في القرآن ..قال الله سبحانه (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأني يؤفكون) ، وقال أيضا (قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون) ، وقال تعالي (وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون) قال مجاهد تلميذ ابن عباس (إيمانهم قولهم الله خالقنا ورازقنا مع شرك عبادتهم غيره) فهم كانوا يعلمون ان جميع ذلك لله وحده ولم يكونوا بذلك مسلمين فتبين ان الكفار كانوا يعرفون الله ويعرفون ربوبيته وملكه وقهره ولم يجعلهم ذلك مسلمين

بل كانوا يسمون الله بالأسماء الحسني علي بقايا وصلته من ملة إبراهيم ومع ذلك هذا أيضا لم يكفهم في حصول الاسلام حتيي يأتوا مع ذلك بلازمه من توحيد الربوبية والعبادة ، والكفار مقرون بجنس هذا النوع وإن كان بعضهم قد ينكر بعض ذلك إما جهلا وإما عنادا كما قالوا : لا نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة فأنزل الله فيهم (وهم يكفرون بالرحمن) أي بالاسم لا بالمسمي والمدلول إذ كانوا يعبدون الله تعالي ولكن أشركوا معه آلهتهم.

قال ابن كثير : والظاهر أن إنكارهم إنما هو جحود وعناد وتعنت في كفرهم فإنه قد وجد في بعض أشعار الجاهلية تسمية الله بالرحمن قال شاعرهم

وما يشأ الرحمن يعقد ويطلق...

وقال آخر:

ألا قضب الرحمن ربي يمينها

وهما شاعران جاهليان

ولم يعرف عنهم انكار شيء من ذلك التوحيد إلا في اسم الرحمن خاصة ولو كانوا ينكرونه لردوه علي النبي صلي الله عليه وسلم كما ردوا عليه توحيد الألوهية فقالوا (أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب) ، لا سيما السور المكية مملوءة بهذا التوحيد .

بل كانوا أهل تعبد وكانوا يصلون ويتصدقون ويصومون ويعتكفون ويَصِلون الأرحام ويحجون علي ما ورثوه من بقايا من ملة إبراهيم عليه وعلي نبينا الصلاة والسلام.

والدليل حديث أبي ذر رضي الله عنه كما عند مسلم (كنت أصلي قبل بعثة النبي بثلاث سنوات)

وحديث عمر (يا رسول الله إني نذرت أن أعتكف ليلة في الجاهلية فقال له الرسول صلي الله عليه وسلم أوف بنذرك).

وقول خديجة رضي الله عنها بعد ما بعث النبي وفاجأه الوحي قالت (كلا والله لا يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتَقرِي الضيف وتعين الملهوف).

وقال ابن كثير في تفسير قوله تعالي (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسج الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين)

(قال العوفي في تفسيره ، عن ابن عباس في تفسير هذه الآية ، قال : إن المشركين قالوا : عمارة بيت الله ، وقيام على السقاية ، خير ممن آمن وجاهد ، وكانوا يفخرون بالحرم ويستكبرون به من أجل أنهم أهله وعماره ، فذكر الله استكبارهم وإعراضهم ، فقال لأهل الحرم من المشركين : { قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون مستكبرين به سامرا تهجرون } [المؤمنون : 66 ، 67] يعني : أنهم كانوا يستكبرون بالحرم قال : { به سامرا } كانوا يسمرون به ، ويهجرون القرآن والنبي - صلى الله عليه وسلم - فخير الله الإيمان والجهاد مع نبي الله - صلى الله عليه وسلم - على عمارة المشركين البيت وقيامهم على السقاية ولم يكن ينفعهم عند الله مع الشرك به إن كانوا يعمرون بيته ويخدمونه.

قال الله : { لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين } يعني : الذين زعموا أنهم أهل العمارة ، فسماهم الله " ظالمين " بشركهم ، فلم تغن عنهم العمارة شيئا.

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، في تفسير هذه الآية ، قال : نزلت في العباس بن عبد المطلب حين أسر يوم بدر قال : لئن كنتم سبقتمونا بالإسلام والهجرة والجهاد ، لقد كنا نعمر المسجد الحرام ، ونسقي [الحاج] ونفك العاني ، قال الله - عز وجل - : { أجعلتم سقاية الحاج } إلى قوله : { والله لا يهدي القوم الظالمين } يعني أن ذلك كان في الشرك ، ولا أقبل ما كان في الشرك)

إلي غير ذلك مما يبين أن مشركي العرب كانوا أهل تعبد لله جل وعلا

ومع هذا لم يكونوا مسلمين بل بعث الله إليهم محمدا صلي الله عليه وسلم يأمرهم أن يوحدوا الله!

وقاتلهم واستحل دماءهم وأرضهم وغزاهم إن لم يوحدوا أو يدفعوا الجزية

فكيف مع كل هذا العبادات عندهم ؟!

بل كانوا أيضا أهل خلق ولهذا قال رسولنا صلي الله عليه وسلم (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) فجاء ليتمم ما وجد فيهم أصلا من مكارم الخلق ولم يقل بعث ليؤسس ، ومع ذلك لم يجعلهم ذلك مسلمين أيضا

بل كانوا – خامسا - يخلصون الله الدعاء لكن في الشدة دون الرخاء ، ولم يجعلهم ذلك مسلمين أيضا حتي يفردوا الله ويخلصوا له جميع العبادات لا الدعاء فقط ، وفي جميع لحظات الحياة في الشدة والرخاء لا في الشدة فقط ، قال تعالي (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) وقال تعالي وقاتلوهم حتي لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) ، وقال (فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلي البر إذا هم يشركون) ونحوها من الايات

إنما السبب الذي كانوا به كفارا ومشركين م كل ما سبق أنهم أشركوا مع الله تعالي غيره في العبادة ..فقد جعلوا آلهتهم وسائط بينهم وبين الله في طلب الرزق وشفعاء يشفعون لهم عند الله فكانوا يتوجهون بالعبادات لغير الله فكانوا بذلك مشركين كما يفعله مشركو زماننا يدعون النبي من دون الله ويتوجهون إلي الأموات مع الله بمختلف العبادات ، فلم يكن مشركو العرب بالغباء الذي يجعلهم يصنعون صنما يعبدونه ثم يأكلونه إذا جاعوا ! بل إنما عبدوها ظنا منهم أن أرواح الصالحين تسيح بعد موتهم وتتركب في أصنامهم وتحل فيها فكانوا يسألونها فتجيبهم فظنوا أن الأموات هم الذين يجيبونهم لكن في الجقيقة الشياطين هي التي كانت تجيبهم ولهذا قال تعالي في سورة سبأ (وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ) سبحان الله عما يشركون!

وفي ذلك يقوله الله جل وعلا في سورة يونس مبينا حقيقة شرك الجاهلية (وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِۚ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ) ، وقال تعالي في سورة الزمر (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ).

غير أن أول شرك وقع في العالم شرك قوم نوح وسيأتي في شرح باب (الغلو في الصالحين يصيرها أوثانا تعبد) أنهم كانوا يتوجهون بالعبادات للأموات من الصالحين ، وقد كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم علي التوحيد فلما حصل الشرك في قوم نوح الذي هو أول رسول بعد آدم أرسل الله إليهم نوحا أول رسول أن لاتعبدوا إلا الله ، يدل علي ذلك ما رواه مسلم في " صحيحه " من حديث عياض بن حمار المجاشعي ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى : " إني خلقت عبادي حنفاء كلهم ، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ، وحرمت عليهم ما أحللت لهم ، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا"

وقال ابن تيمية رحمه الله مجموع الفتاوى: (165 – 167)

"وهذا كان أول أسباب الشرك في قوم نوح وعبادة الأوثان في الناس ، قال ابن عباس: (كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام، ثم ظهر الشرك بسبب تعظيم قبور صالحيهم) "، انتهى

فإذا علمت هذا علمت أن العبرة بتوحيد الله في العبادات وليس في أنهم يحجون ويصومون وهم مشركون فتكون أعمالهم هباء منثورا مع شركهم بالله في العبادة

وعلمت أن ما يفعله مشركو زماننا من التوجه للأموات وللنبي محمد صلي الله عليه وسلم نفسه في قبره ويتوجهون إليهم ويدعونهم من دون الله أن يشفعوا لهم عند الله ويذبحون لهم ويستغيثون ويستعينون بهم إلي غير ذلك من العبادات

علمت أن هذا من الشرك الذي حذر منه الله ورسوله ويخلد في النار من ارتكبه.

وعلمت أن إخلاص القلب والعمل وتوجهه لله وحده في العبادات هو زبدة الرسالات الإلهية وهو مدار بعثة الأنبياء والمرسلين ،وبدونه لا يقبل الله من العبد صرفا ولا عدلا .

فعيسي ومريم اتخذهم كثير من الناس إلهين من دون الله وكذلك النبي محمد صلي الله عليه وسلم وكذلك موسي والعزير عليهما السلام ومن دونهم كالبدوي والجيلاني والحسين رضي الله عنهم ، وغيرهمكذلك فإن قلت كيف اتخذوهم كذلك ؟

فنقول اتخذوا آلهة من دون الله بأن طلبوا منهم ودعوهم أن يشفعوا لهم عند الله وطلبوا منهم المدد من دون الله وتوجهوا إليهم بمختلف أنواع العبادات..

فهذا هو شركهم الذي أحبط عملهم وخلدهم في النار..

وبهذا نعرف أن للإسلام حقيقة مالم يحققها العبد فليس بمسلم بأي حال وإن كان من أعبد الناس ، وهي توحيد الله بالعبادة فلا تصرف لغيره أبدا فهو الأصل الذي قامت لأجله السماوات

والأرض وبها يكون المرء مسلما وإن كان من أهل الفترة الذين لم يسمعوا برسالة رسول ، وبمناقضتها يكون مشركا كافرا ولو كان جاهلا أميا ولو لم تبلغه رسالة فهذا حكمه الدنيوي أما في الآخرة فيمتحن يوم القيامة إن كان معذورا حقا كأن يعيش في بلاد نائية ا يدري ما كتاب ولا رسول وسلك كل السبل ولكن مات قبل أن يتعلم فهذا لا يدخل الجنة وإنما عذره أن يمتحنه الله يوم القيامة لأن الله لا يعذب أحدا إلا بعد بلوغ الحجة ، وأما حكمه في الدنيا فعلي ظاهر الأمر فيكون له حكم المشركين .

فتبين بذلك أن مجرد توحيد الربوبية الذي أقر به المسلم والكافر لا يكفي وحده ، بل لا يكفي مع إثبات الاسماء والصفات حتي يقترنا معا بتوحيد الإلهية الذي هو لازم توحيد الربوبية والاسماء والصفات ولهذا حاج الله المشركين في ايات كثيرة بإثباتهم ربوبيته مع شركهم به غيره في التوجه والعبادة ! ، وهذا مناقض للعقل والفطر السليمة فإن الخالق الرازق المدبر وحده هو المستحق للعبادة وحده

ولم يصف أحد من أهل العلم من جاء بتوحيد الربوبية بأنَّه موحد هكذا على الإطلاق، وإنَّما يُوصف بالموحد عندهم من جاء بالتوحيد بأقسامه الثلاثة.

وفي ذلك قال الله تعالى: {فَلاَ تَجْعَلُوا للهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ}.

قال ابن عباس: "أي لا تشركوا بالله غيره من الأنداد التي لا تنفع ولا تضر وأنتم تعلمون أنَّه لا رب لكم يرزقكم غيره، وقد علمتم أنَّ الذي يدعوكم إليه الرسول صلى الله عليه وسلم من توحيده هو الحق الذي لا شك فيه."

وقال قتادة: "أي تعلمون أنَّ الله خلقكم وخلق السموات والأرض ثم تجعلون له أنداداً."

وقال ابن جرير " ... ولكن الله جل ثناؤه قد أخبر في كتابه عنها أنَّها كانت تقر بالوحدانية غير أنَّها كانت تشرك في عبادته ما كانت تشرك فيها فقال جلَّ ثناؤه: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ} ، وقال: {قُلْ مَن يَّرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَآءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَّمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَن يُّخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ}

فروى عن ابن عباس أنَّه قال: "من إيمانهم إذا قيل لهم من خلق السماء، ومن خلق الأرض ومن خلق الجبال؟ قالوا: الله ، وهم مشركون."

وعن مجاهد قال: "إيمانهم قولهم: الله خالقنا ويرزقنا ويميتنا فهذا إيمان مع شرك عبادتهم غيره"

وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال: "ليس أحد يعبد مع الله غيره إلا وهو مؤمن بالله ويعرف أنَّ الله ربه، وأنَّ الله خالقه ورازقه وهو يشرك به، ألا ترى كيف قال إبراهيم: {أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلاَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ} ، قد عرف أنَّهم يعبدون رب العالمين مع ما يعبدون، قال: فليس أحد يشرك إلا وهو مؤمن به، ألا ترى كيف كانت العرب تلبي تقول لبيك اللهم لبيك لا شريك لك، إلا شريكا هو لك، تملكه وما ملك، المشركون كانوا يقولون هذا"

(ب) أن معناها: لا حاكم إلا الله، وهذا أيضاً جزء من معنى هذه الكلمة؛ وليس هو المقصود؛ لأنه لو أفرد الله بالحاكمية فقط ودعا غير الله أو صرف له شيئاً من العبادة لم يكن موحداً، وكل هذه تفاسير باطلة أو ناقصة ؛ وإنما نبهنا عليها لأنها توجد في بعض الكتب المتداولة ، نعم ما الحكم إلا لله لكن من وحده في الحكم وأشرك في العبادة فهو مشرك ، والعكس بالعكس ، بل إن الحكم كما أنه فعل من أفعال الله وصفة من صفاته فهو متعلق بأنواع التوحيد الثلاثة لأنه باعتبار أنه المشرع فهو من أفعال ربوبيته ، وباعتبار تحكيم شرعه دون غيره من القوانين الطاغوتية والحكم به فهو من العبادة ، وباعتبار التحاكم إليه كذلك .

(ج) أن معنها لا معبود موجود ، وهذا غلط لأن المخلوقات المعبودة مع الله كثير كالصالحين والأموات والقبور والكواكب والنجوم والنار و والحيوانات والشياطين وغيرهم فهي معبودات موجودة لكنها باطلة وما عبدت إلا بالظلم والجور علي حق الله الخالص ألا وهو العبادة ولهذا قال تعالي (فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك) فسماها آلهة لكنها الهة باطلة فتعريف الشهادة بلا اله موجود تعريف باطل .

وإنما التفسير الصحيح لهذه الكلمة العظيمة عند سلفنا الصالحين من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان:

أن يُقال: (لا معبود بحق إلا الله) كما سبق.

2• واعلم - وفقك الله لمرضاته – أن لا إله إلا الله لها ركنان هما: النفي والإثبات:

فالركن الأول: النفي: فقولنا لا إله: يُبطل الشرك بجميع أنواعه، ويُوجب الكفر بكل ما يعبد من دون الله.

الركن الثاني: الإثبات: فقولنا إلا الله: يثبت أنه لا يستحق العبادة إلا الله، ويُوجب علي العبد العمل بذلك.

ولا بد من اعتقاد الركنين معا لأن مجرد النفي إلحاد ، ومجرد الإثبات لا يمنع المشاركة.

وقد جاء معنى هذين الركنين في كثير من الآيات، مثل قوله تعالى: ((فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)) سورة البقرة.

فقوله: ((فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ)) هو معنى الركن الأول (لا إله) وقوله: ((وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ)) هو معنى الركن الثاني (إلا الله).

وكذلك قوله عن إبراهيم عليه السلام: ((إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ)) سورة الزخرف.

فقوله: ((إِنَّنِي بَرَاءٌ)) هو معنى النفي في الركن الأول، وقوله: ((إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي)) هو معنى الإثبات في الركن الثاني.

ولهذا لم يقل لهم الرسول صلي الله عليه وسلم قولوا الله إله لانهم كانوا يعلمون ذلك كما تقدم ولكن قال لهم قولوا لا إله إلا الله تفلحوا ، فكانوا يعبدونه سبحانه لكن لم يعبدوه وحده ، قال تعالي (وإذا ذكرت ربك في القران وحده ولوا علي أدبارهم نفورا) ، وقال (وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخر) ، وقال (قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا) ، وقال (وإذا ذكرت ربك في القران وحده ولوا علي أدبارهم نفورا) .

3• وبعد العلم بمعني لا إله إلا الله وأنها قائمة علي ركنين لا بد منهما لصحة التوحيد وهما النفي والإثبات فإن لقول لا إله إلا الله ثمانية شروط لا بد من تحقيقها مجتمعة حتي يتقبلها الله من قائلها فلو سقط شرط منها لكفر إلا أن يحققه، وقد جمعها سعد بن حمد بن عتيق في قوله:

علم يقين وإخلاص وصدقك ...مع محبة وانقياد والقــبولِ لهــا

وزيد ثامنها الكفران منك بما ...سوي الإله من الأشياء قد عُبدا

1) الشرط الأول العلم المنافي للجهل ، يعني العلم بمعناها المستلزم للعمل بمقتضاها من إقامة التوحيد ونفي الشرك والبراءة منه وممن عمله.

والدليل قوله تعالي (فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين ولمؤمنات والله يعلم متقلبكم وثواكم).

قال السعدي في تفسيره:

(وهذا العلم الذي أمر الله به -وهو العلم بتوحيد الله- فرض عين على كل إنسان، لا يسقط عن أحد، كائنا من كان، بل كل مضطر إلى ذلك).

وقال الله عز وجل (إلا من شهد بالحق وهم يعلمون)

والشَّهادةَ بالحَقِّ تتضمنُ العِلْم قطعا، وإلَّا لكان الشاهد شاهِدًا بما لا علم له به.

وقال الطبري في تفسيره (وشَهادتُه بالحَقِّ: هو إقرارُه بتوحيدِ اللهِ، يعني بذلك: إلَّا من آمَنَ بالله، وهم يَعلَمونَ حقيقةَ توحيدِه).

وقال ابنُ كثيرٍ: (لكِنْ من شَهِدَ بالحَقِّ على بصيرةٍ وعِلمٍ، فإنَّه تنفَعُ شَفاعتُه عنده بإذنِه له)

والدليل من السنة قول النبي صلي الله عليه وسلم من حديث أبي هريرة عند مسلم (من مات وهو يعلم ان لا اله الا الله دخل الجنة).

والمراد من الشهادة معناها لا مجرد لفظها ، وقد كان بعض اليهود في عهد النبي صلي الله عليه وسلم يقولونها ولم يفرق النبي بينهم وبين غيرهم من الكفار في القتال حتي يلتزموا معناها من إخلاص العبادات كلها لله وحده وترك الشرك وبغضه والبراءة منه وتكفيرمن فعله.

قال الشيخ سليمان في (تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد):

(أما قول الانسان لا إله إلا الله من غير معرفة لمعناها ولا عمل لمقتضاها ، او دعواه أنه من أهل التوحيد ، وهو لا يعرف التوحيد بل ربما يخلص لغير الله من عبادته من الدعاء والخوف والذبح والنذر والتوبة والانابة ، وغير ذلك من انواع العبادات ، فلا يكفي في التوحيد ، بل لا يكون الا مشركا والحالة هذه ، كما هو شأن عباد القبور)

وقال ص48 وما بعدها

(فلا إله إلا الله اشتملت علي نفي وإثبات ، فنفَتِ الإلهيةَ عن كل ما سوي الله تعالي ، فكل ما سواه من الملائكة والأنبياء فضلا عن غيرهم فليس بإله وليس له من العبادة شيء ، إثبات الالهية لله وحده بمعني أن العبد لا يأله غيره ،أي لا يقصده بشيء من التأله وهو تعلق القلب الذي يوجب قصده بشيء من أنواع العبادة ، كالدعاء والذبح والنذر وغير ذلك ، وبالجملة فلا يأله إلا الله أي لا يعبد إلا هو.

فمن قال هذه الكلمة عارفا لمعناها ، عاملا بمقتضاها ، من نفي الشرك واثبات الوحدانية لله مع الاعتقاد الجازم لما تضمنته من ذلك والعمل به ، فهذا هو المسلم حقا ، فإن عمل به ظاهرا من غير اعتقاد فهو المنافق ، وإن عمل بخلافها من الشرك فهو الكافر ولو قالها ، ألا تري أن المنافقين يعملون بها ظاهرا وهم في الدرك الاسفل من النار واليهود يقولونها وهم علي ما هم عليه من الكفر والشرك فلم تنفعهم وكذلك من ارتدّ عن الإسلام بإنكار شيء من لوازمها وحقوقها فإنها لا تنفعه ولو قالها مئة ألف فكذلك من يقولها ممن يصرف أنواع العبادة لغير الله كعباد القبور والأصنام فلا تنفعهم ولا يدخلون في الحديث الذي جاء في فضلها وما أشبهه من الأحاديث ، وقد بين النبي صلي الله عليه وسلم ذلك بقوله (وحده لا شريك له) تنبيها علي أن الانسان قد يقولها وهو مشرك ، كاليهود والنصاري وعباد القبور ...أما عباد القبور فلم يعرفوا معني هذه الكلمة ولا عرفوا الإلهية المنفية عن غير الله الثابتة له وحده لا شريك له بل لم يعرفوا من معناها إلا ما أقر به المؤمن والكافر واجتمع عليه الخلق كله ، من أن معناها لا قادر علي الاختراع ، أو أن معني الإله هو الغني عن ما سواه الفقير إليه كل ما عداه ونحو ذلك فهذا حق ، وهو من لوازم الإلهية ، ولكن ليس هو المراد بمعني لا إله إلا الله فإن هذا القدر قد عرفه الكفار ، وأقروا به ولم يدّعوا في آلهتهم شيئا من ذلك بل يقرون بفقرهم وحاجتهم الي الله وانما كانوا يعبدونهم علي أنهم وسائط وشفعاء عند الله في تحصيل المطالب ونجاح المآرب وإلا فقد سلموا الخلق والملك والرزق والاحياء والاماتة والأمر كله لله وحده لا شريك له وقد عرفوا معني لا إله إلا الله فأبوا عن النطق والعمل بها ، فلم ينفعهم توحيد الربوبية مع الشرك في الإلهية كما قال تعالي (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون)

وعباد القبور نطقوا بها وجهلوا معناها وأبوا عن الإتيان به ، فصاروا كاليهود الذين يقولونها ولا يعرفون معناها ولا يعملون به ، ولا ريب أنه لو قالها أحد من المشركين ونطق أيضا بشهادة أن محمدا رسول الله ولم يعرف معني الإله ولا معني الرسول وصلي وصام وزكي وحج ولا يدري ما ذلك الا أنه رأي الناس يفعلونه فتابعهم ولم يفعل شيئا من الشرك ، فإنه لا يشكّ أحدٌ في عدم إسلامه ، وقد أفتي بذلك فقهاء المغرب كلهم أول القرن الحادي عشر أو قبله في شخص كان كذلك كما ذكره صاحب الدر الثمين في شرح المرشد المعين من المالكية ، ثم قال شارحه : (وهذا الذي افتوا به جلي غاية الجلاء ، لا يمكن أن يختلف فيه اثنان) ، ولا ريب

أن عباد القبور أشد من هذا لأنهم اعتقدوا الإلهية في أرباب متفرقين .. والنطق بلا إله إلا الله دليل العصمة لا هو العصمة أو يقال هو العصمة لكن بشرط العمل) انتهي كلامه.

وقال تعالي (فاعلم أنه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم)، أمر بتعلمها قبل الاستغفار اذ الاستغفار لن ينفع الا علي أساس صحيح وهو شرط صحة كل عمل يأتي به العبد ابتغاء وجه الله ألا وهو التوحيد ، وهو معني لا مجرد كلام كما زعمته المرجئة وهو شرط صحة الأعمال وجوهرها وهو الذي لأجله خلق الخلق ، وكذلك وقوله (إلا من شهد بالحق وهم يعلمون)انتهي .

وقال الشيخ عبد اللطيف في الدرر(263 / 12)

(وقد غلط كثير من المشركين في هذه الأعصار، وظنوا أن من كفّر من تلفظ بالشهادتين، فهو من الخوارج وليس كذلك، بل التلفظ بالشهادتين لا يكون مانعا من التكفيرإلا لمن عرف معناهما، وعمل بمقتضاهما، وأخلص العبادة لله، ولم يشرك به سواه؛ فهذا تنفعه الشهادتان

وأما من قالهما ولم يحصل منه انقياد لمقتضاهما، بل أشرك بالله، واتخذ الوسائط والشفعاء من دون الله، وطلب منهم ما لا يقدر عليه إلا الله، وقرب لهم القرابين، وفعل لهم ما يفعله أهل الجاهلية من المشركين، فهذا لا تنفعه الشهادتان بل هو كاذب في شهادته كما قال تعالي : إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون " ، ومعني شهادة أن لا إله إلا الله هو عبادة الله وترك عبادة ما سواه ، فمن استكبر عن عبادته ولم يعبده ، فليس ممن يشهد أن لا إله إلا الله ، ومن عبده وعبد معه غيره ، فليس هو ممن يشهد أن لا إله إلا الله) انتهي كلامه.

فأفرض الفروض وأوجب الواجبات وأصل الأصول وأول شرط من شروط صحة الشهادة من قائلها وإلا لم تنفعه : العلم بمعني لاإله إلا الله نفيا وإثباتا واعتقادها وقولها باللسان ، كما قال الله تعالي (فاعلم أنه لاإله إلا الله واستغفر لذنبك) ، وقال الرسول - صلي الله عليه وسلم - كما في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه من حديث عثمان -رضي الله عنه – (من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة) فدل علي أن من مات وهو يجهلها دخل النار ، قول الله سبحانه (ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون) أي يعلمون بقلوبهم ما نطقت به ألسنتهم ، قال ابن سعدي (أي: نطق بلسانه، مقرا بقلبه، عالما بما شهد به).

2) اليقين المنافي للشكّ

والمراد اليقين الجازم الذي لا يعتريه أدني شك ، يقينا بمعني لا إله إلا الله وبجميع ما جاء به الرسول صلي الله عليه وسلم من العقائد القلبية والأحكام العملية ، فمن شك أو تردد في شيء منها فقد كفر كمن يشك في وحدانية الله أو صدق رسول الله أو في البعث أو في الملائكة أو القدر أو في فرضية الصلاة والزكاة وغيرها من العبادات.

وهذ اليقين لا بد أن يكون تاما حتي يتحقق العبد من هذا الشرط فمن قال أعطوني فرصة أفكر أو أنه متيقن بنسب 99وتسعة من عشرة في المئة لكن أنظر ، نقول هذا ليس بيقين وإذا مات يكون كافرا ، بل لا يكون يقينا حتي يدعو الله أن يميته علي هذه العقيدة ، فالعقيدة يمعني معقودة أي عقد القلب عليها فلا ينفلت من شدة الاستمساك به.

ودليله قول الله عز وجل (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون)

قال ابن كثير (لم يشكوا ولا تزلزلوا ، بل ثبتوا على حال واحدة ، وهي التصديق المحض)

وقال عن قوله تعالي (في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا) هو الشك والتكذيب فكان عندهم هذا وهذا.

وقال الطبري في قوله (في قلوبهم مرض)

(والمرضُ الذي ذكر الله جل ثناؤه أنّه في اعتقاد قلوبهم الذي وصفناه: هو شكُّهم في أمر محمد وما جاء به من عند الله، وتحيُّرُهم فيه، فلا هم به موقنون إيقان إيمان، ولا هم له منكرون إنكارَ إشراك، ولكنهم، كما وصفهم الله عز وجل، مُذَبْذَبُونَ بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء كما يقال: فلانٌ يمَرِّضُ في هذا الأمر، أي يُضَعِّف العزمَ ولا يصحِّح الرويَّة فيه.)

قال ابن عثيمين (أي: لم يلحقهم شك في الإيمان بالله ورسوله، فإذا قال قائل: ما هي الطريق التي توجب للإنسان ثبوت الإيمان واستقراره؟ قلنا: أولًا: أن يتفكر في مخلوقات الله سبحانه وتعالى، وأن هذه المخلوقات العظيمة لم تكن وليدة الصدفة، ولم تكن وليدة بنفسها، وأن يتفكر أيضًا في شريعة الله وكمالها، وأن يتفكر في سيرة النبي ﷺ وآياته، وما إلى ذلك، وكذلك أيضًا يُكثِر من ذكر الله عز وجل، فإن بذكر الله تطمئن القلوب، ويكثر من الطاعات والأعمال الصالحة؛ لأن الطاعات والأعمال الصالحة تزيد في الإيمان كما هو مذهب أهل السنة والجماعة رحمهم الله).

وقال الطبري

(إنما المؤمنون أيها القوم الذين صدّقوا الله ورسوله، ثم لم يرتابوا، يقول: ثم لم يشكوا في وحدانية الله، ولا في نبوّة نبيه ﷺ، وألزم نفسه طاعة الله وطاعة رسوله، والعمل بما وجب عليه من فرائض الله بغير شكّ منه في وجوب ذلك عليه).

ومن السنة عند البخاري من حديث سلمة رضي الله عنها أن النبي صلي الله عليه وسلم قال

(أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقي اللهَ بهما عبدٌ **غير شاكٍّ فيهما** إلا دخل الجنة)

وقوله لأبي هريرة رضي الله عنه كما في الصحيح (من لقيتَ من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله **مستيقنا بها قلبه** فبشِّره بالجنة).

3) الإخلاص المنافي للشرك

أي تصفية العمل من شوائب الشرك الأصغر والأكبر بحيث تجعل وتصرف جميع العبادات القولية كالدعاء ونحوه ، أو العملية بالجوارح كالصلاة والنسك - أي الذبح – ونحوهما ، أو القلبية كالتوكل والمحبة التعبدية والخوف والرجاء ونحوها ، كلها لله وحده لا يشرك فيها مع الله أحد كائنا من كان وما كان ولو كان نبيا مرسلا أو ملكا مقربا ، مع البراءة من الشرك ومن المشركين ، هذا هو الإخلاص .

ودليله قول الله تعالي (فاعبد الله مخلصا له الدين ألا لله الدين الخالص)

قال الطبري

(يقول تعالى ذكره: فاخشع لله يا محمد - أيها الرسول الكريم - بالطاعة، وأخلص له الألوهة، وأفرده بالعبادة، ولا تجعل له في عبادتك إياه شريكا، كما فَعَلَتْ عَبَدة الأوثان ألا لله العبادة والطاعة وحده لا شريك له، خالصة لا شرك لأحد معه فيها، فلا ينبغي ذلك لأحد، لأن كل ما دونه ملكه، وعلى المملوك طاعة مالكه لا من لا يملك منه شيئا).

وقول النبي صلي الله عليه وسلم لأبي هريرة رضي الله عنه كما في الصحيحين لما سأله من أسعد الناس بشفاعتك

قال صلي الله عليه وسلم (أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه)

فمن قالها وهو عاكف القبر يعبد الميت كما هو حال عباد القبور والأوثان فلن تنفعه الشهادة بل قولها منه غير معتبر شرعا ولو قالها آلاف المرات.

وقوله تعالي (وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون)

4) الصدق المنافي للتكذيب والنفاق فيقولها صدقا من قلبه لا نفاقا ولا تكذيبا

ودليله قول تعالي (فليعلمنَّ اللهُ الذين صدقوا وليعلمنَّ الكاذبين)

قال ابن كثير (أَيِ: الَّذِينَ صَدَقُوا فِي دَعْوَاهُمُ الْإِيمَانَ مِمَّنْ هُوَ كَاذِبٌ فِي قَوْلِهِ وَدَعْوَاهُ. وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَعْلَمُ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ، وَمَا لَمْ يَكُنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ يَكُونُ(٤) . وَهَذَا مُجْمَعٌ عَلَيْهِ عِنْدَ أَئِمَّةِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ؛ وَلِهَذَا يَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ فِي مِثْلِ: ﴿إِلا لِنَعْلَمَ﴾ [الْبَقَرَةِ: ١٤٣] : إِلَّا لِنَرَى؛ وَذَلِكَ أَنَّ الرُّؤْيَةَ إِنَّمَا تَتَعَلَّقُ بِالْمَوْجُودِ، وَالْعِلْمُ أَعَمُّ مِنَ الرُّؤْيَةِ، فَإِنَّهُ [يَتَعَلَّقُ](٥) بِالْمَعْدُومِ وَالْمَوْجُودِ).

وفي التفسير الميسر

(فليعلمنَّ الله علمًا ظاهرًا للخلق صدق الصادقين في إيمانهم، وكذب الكاذبين؛ ليميز كلَّ فريق من الآخر).

وقال سبحانه عن المنافقين (ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون)

قال الطبري

(الله عز وجل أنبأ عن المنافقين في أول النبأ عنهم في هذه السورة، بأنهم يَكذِبون بدَعْواهم الإيمانَ، وإظهارهم ذلك بألسنتهم، خِداعًا لله عز وجلّ ولرسوله وللمؤمنين، فقال: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ بذلك من قيلهم، مع استسرارهم الشكَّ والريبة، ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ﴾ بصنيعهم ذلك ﴿إِلا أَنْفُسَهُمْ﴾ دون رسول الله ﷺ والمؤمنين؛ ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ بموضع خديعتهم أنفسَهم، واستدراج الله عز وجل إيّاهم بإملائه لهم، ﴿فِي قُلُوبِهِمْ﴾ شك النفاق وريبَتُه(١٥) والله زائدهم شكًّا وريبة بما كانوا يَكذِبون الله ورسوله والمؤمنين بقَوْلهم بألسنتهم آمنَّا بالله وباليوم الآخر، وهم في قيلهم ذلك كَذَبة، لاستسرارهم الشَّكَّ والمرض في اعتقادات قلوبهم في أمر الله وأمر رسوله ﷺ) .

وقوله صلي الله عليه وسلم كما عند البخاري من حديث معاذ رضي الله عنه

(ما من أحد يشهد أن لا اله إلا الله صدقا من قلبه إلا حرَّمه الله علي النار)

يقولها مصدقا بها وبحقها لا مكذبا ، وصادقا لا منافقا النفاق الاعتقادي المكفر.

5) المحبة المنافية للبغض

المحبة لما تضمنته من العقائد القلبية والشرائع العملية، فيحب العبد ربه سبحانه وتعالي وجميع رسله عليهم الصلاة والسلام ويحب جميع ما جاء به الرسول صلي الله عليه وسلم ، فإن أبغض وكره شيئا منها فقد كفر بالله سبحانه وتعالي ، والمراد بالبغض المكفر هو البغض الديني ، لأن البغض أو الكره نوعان بغض ديني اعتقادي ، وبغض طبعي ، والبغض أشد من الكره وكثيرا ما يصاحبه مع نفرة النفس عن الشيء عداوة ، والبغض أو الكره المكفر هو البغض الاعتقادي الديني أي بغض التشريع سواء أبغض الدين كله أو حكما شرعيا ولو واحدا كاللاتي يبغضن تعدد الزوجات بغض تشريع أي تكره حكم الله ، وكالذين يبغضون النقاب ويقولون هو عادة جاهلية و اللحية كذلك فهذا كله من الكفر والردة عن دين الله سبحانه

ودليل ذلك قوله تعالي (والذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم)

قال ابن كثير (أيْ: لَا يُرِيدُونَهُ وَلَا يحبونه فأحبط أعمالهم)

وحبوط جميع الأعمال لا يكون إلا بالكفر أو الشرك.

وقال تعالي (لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون).

وقال أيضا عز من قائل (ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم)

وقال سبحانه (أم يقولون به جنة بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون)

وأما الكره الطبعي فهو من جبلة الإنسان لما يلحقه من المشقة فلا يكون كفرا مخرجا من الملة

كما قال تعالي (كتب عليكم القتال وهو كره لكم) ، وقال صلي الله عليه وسلم كما عند مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه (ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات: قالوا: بلى يا رسول الله قال: إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط).

6) الانقياد المنافي للإعراض والترك

أن ينقاد ويذعن ويستسلم لما دلَّتْ عليه من العقائد القلبية والشرائع العملية قولا وعملا.

ومن لم ينقد فهو كافر كفر إعراض ، وكفر الإعراض ليس هو التكذيب والجحد المنافي للصدق الذي هو الشرط الرابع المتقدم بيانه وإنما هو التقصير في تعلم الفرض العيني والعمل به مما لا يقوم الإسلام إلا به كالتوحيد والصلاة ، وأما الإعراض عن الواجب الذي هو دون ذلك فيوزر عليه صاحبه ولكن لا يخرجه من الإسلام إن كان محققا لأصل الدين وهو التوحيد قولا وعملا وإقامة الصلاة مع البراءة من الشرك وأهله.

فالإعراض عن دين الله - تعالي - ؛ لا يتعلمه ولا يعمل به بل يتولى ويعرض عنه ولا ينقاد له فهذا ناقض لقول الشهادة من الأساس.

والدليل قوله تعالي : ومن أظلم ممن ذكر بايات ربه ثم أعرض عنها إنا من المجرمين منتقمون

ودليله قوله تعالي (ومن يسلم وجهه إلي الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقي وإلي الله عقبة الأمور)

قال ابن كثير (يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ، أَيْ: أَخْلَصَ لَهُ الْعَمَلَ وَانْقَادَ لِأَمْرِهِ وَاتَّبَعَ شَرْعَهُ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ أَيْ: فِي عَمَلِهِ، بِاتِّبَاعِ مَا بِهِ أُمِرَ، وَتَرْكِ مَا عَنْهُ زُجِرَ، ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ أَيْ: فَقَدْ أَخَذَ مُوَثِّقًا مِنَ اللَّهِ مَتِينًا أَنَّهُ لَا يُعَذِّبُهُ)

ومثله قوله تعالي (وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ)

قال الطبري

(ومن أحسن دينًا" أيها الناس، وأصوبُ طريقًا، وأهدى سبيلا="ممن أسلم وجهه لله"، يقول: ممن استسلم وجهه لله فانقاد له بالطاعة، مصدقًا نبيه محمدًا ﷺ فيما جاء به من عند ربه ="وهو محسن"، يعني: وهو عاملٌ بما أمره به ربه، محرِّم حرامه ومحلِّل حلاله" واتَّبع ملة إبراهيم حنيفًا"، يعني بذلك: واتبع الدين الذي كان عليه إبراهيم خليل الرحمن، وأمر به بنيه من بعده وأوصاهم به حنيفًا"، يعني: مستقيمًا على منهاجه وسبيله.) . انتهي.

ودليل ذلك أيضا قوله تعالي (ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمي قال رب لم حشرتني أعمي وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسي).

ومثله قوله تعالي (والذين كفروا عما أنذروا معرضون).

وقوله تعالي (بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون).

قال ابن سعدي (أي: وإنما أقاموا على ما هم عليه، تقليدا لأسلافهم يجادلون بغير علم ولا هدى، وليس عدم علمهم بالحق لخفائه وغموضه، وإنما ذلك، لإعراضهم عنه، وإلا فلو التفتوا إليه أدنى التفات، لتبين لهم الحق من الباطل تبينا واضحا جليا ولهذا قال: { فَهُمْ مُعْرِضُونَ ْ}) . انتهي

وقال تعالي (فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) ، وأمره سبحانه يقتضي الوجوب ؛ فلا عذر لأحد تمكن من العلم بمعرفة أمر الله تعالي فقصّر هو عنه.

ووجه كون المعرض عن دين الله كافرا أيضا مع الآيات السابقة سقوط شرطين من شروط الشهادة ألا وهما العلم المُنافي للجهل ، والانقياد المنافي للإعراض والترك.

قال في ذلك الشيخ عبدُ اللَّطيفِ بنُ عبدِ الرَّحمنِ آل الشَّيخ كما في الدرر (472 /10)

(إنَّ أحوالَ النَّاسِ تتفاوَتُ تفاوتًا عظيمًا، وتفاوُتُهم بحَسَبِ دَرَجاتِهم في الإيمانِ إذا كان أصلُ الإيمان موجودًا، والتفريطُ والتَّركُ إنَّما هو فيما دون ذلك من الواجباتِ والمستحَبَّاتِ، وأمَّا إذا عُدمَ الأصلُ الذي يدخُلُ به في الإسلامِ، وأعرضَ عن هذا بالكليَّةِ، فهذا كُفرُ إعراضٍ، فيه قَولُه تعالى: وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ، وقَولُه: وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى) .

قال الشيخ سُلَيمان بن سَحمانَ مُعَلِّقًا على هذا الكلامِ

(فتَبَيَّن من كلامِ الشَّيخِ أنَّ الإنسانَ لا يَكفُرُ إلَّا بالإعراضِ عن تعلُّمِ الأصلِ الذي يدخُلُ به الإنسانُ في الإسلامِ، لا تَرْكِ الواجباتِ والمستحَبَّاتِ).

قال ابن تيمية في كتابه الإيمان(117)

(والتولي هو التولي عن الطاعة، كما قال تعالى: {قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} ، وقال تعالى: {فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّى وَلَكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى.

فعلم أن التولي ليس هو التكذيب، بل هو التولي عن الطاعة، فإن الناس عليهم أن يصدقوا الرسول فيما أخبر، ويطيعوه فيما أمر، وضد التصديق التكذيب، وضد الطاعة التولي، فلهذا قال: {فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّى وَلَكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى} و قد قال تعالى: {وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْلَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ} فنفي الإيمان عمن تولى عن العمل، وإن كان قد أتى بالقول وَقَالَ تَعَالَى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا

مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ} وَقَالَ: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ}) انتهي كلامه.

وأفرض الفروض وأوجب الواجبات وأصل الأصول وأول شرط من شروط صحة الشهادة من قائلها وإلا لم تنفعه : العلم بمعني لاإله إلا الله نفيا وإثباتا واعتقادها وقولها باللسان ، كما قال الله تعالي (فاعلم أنه لاإله إلا الله واستغفر لذنبك) ، وقال الرسول - صلي الله عليه وسلم - كما في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه من حديث عثمان -رضي الله عنه – (من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة) فدل علي أن من مات وهو يجهلها دخل النار ، قول الله سبحانه (ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون) أي يعلمون بقلوبهم ما نطقت به ألسنتهم ، قال ابن سعدي (أي: نطق بلسانه، مقرا بقلبه، عالما بما شهد به).

وليس المراد بالانقياد العملي أي عمل صالح ، كلا ، فلا يكفي مجرد الصدق في الحديث ورد الأمانات ونحو ذلك ، وإنما المراد الواجبات التي يختص بإيجابها محمد صلي الله عليه وسلم أركان الإسلام وعلي رأسها شهادة ألا إله إلا الله قولا وعملا والصلاة فإن تاركها بالكلية كافر كفرأكبر مخرجا من الملة علي الصحيح من قولي العلماءوالصحابة مجمهون علي ذلك إجماعا صحيحا مقبولا .

7) القبول المنافي للرد

أن يقبل ما دلَّت عليه من القول والعمل وأن يعتقد أنه ملتزم بحقها من الأحكام والشرائع ولا يمتنع فان الامتناع مكفر ، وقد بسطت الكلام في كتابي (مسألة الإيمان وما يتعلق بها من أحكام) عن هذه المكفرات الجحد والتكذيب والامتناع وغيرها فراجعه غير مأمور.

وعلي هذا فالفرق بين شرطي الانقياد ولقبول أن الانقياد في الظاهر قولا وعملا ، وأما القبول فهو الالتزام اعتقادا وأن لا يمتنع بقلبه.

وفي ذلك قال الفوزان لما سل عن الفرق بين شرط الانقياد والقبول

(السائل كان يسأل عن الفرق بينهما: الانقياد في الظاهر، والقبول في القلب، الانقياد في الظاهر، ينقاد المسلم والكافر، كلهم ينقادون في الظاهر، ولكن القبول هذا لا يكون إلا للمؤمن، المنافق لا يقبل في قلبه، وإن انقاد في قلبه،).

فالمنافق لن ينفعه انقياده ظاهرا حتي يقبل ما دلت عليه بقلبه واعتقاده باطنا، والممتنع لن تنفعه شهادته حتي يقبل كل شريعة واعتقاد ارسل الله عز وجل نبيه صلي الله عليه وسلم به ولو التزم بكل الشرائع الأخري إنما مثل هذا كمثل اليهود الذين امنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض.

وبهذا تعلم أن من مناطات تكفير تارك العمل بجانب أنه خال من عمل القلب وتقدم تحقيق ذلك في بيان مسألة التلازم بين الظاهر والباطن عند أهل السنة كما بينته في كتابي مسألة الإيمان، أنه لم يحقق شرط الانقياد الذي هو شرط لقبول الشهادة من صاحبها ولا شرط القبول.

ومن أدلة ذلك قتال أبي بكر رضي الله عنه لأهل الردة الذين يشهدون أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، فقال له عمر كيف نقاتل الناس وقد قال رسول الله صلي الله عليه وسلم (أمرت أن أقاتل الناس حتي يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها) قال أبو بكر : إن الزكاة حق المال ، والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها الي رسول الله صلي الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه) حديث متفق عليه.

وقد كفَر مانعوالزكاة لامتناعهم عن أداء الزكاة وردهم لهذه الشريعة العظيمة، رغم إقرارهم بالشهادتين.

قال أبو عبيد القاسم بن سلَّام في هذه الحادثة:

(والمصدق بهذا جهاد ابي بكر الصديق رضي الله عنه بالمهاجرين والأنصار علي منع العرب الزكاة ، كجهاد رسول الله صلي الله عليه وسلم اهل الشرك سواء لا فرق بينهما في سفك الدماء وسبي الذرية واغتنام المال ، فإنهم كانوا مانعين لها غير جاحدين بها) .

فبين انهم كفروا بامتناعهم عنها وعدم قبولهم لها رغم إقرارهم بالشهادتين ، ولم تنفعهم لأنهم لم يحققوا شرطا من شروطها ألا وهو القبول المنافي للرد ، و ذلك بسبب الامتناع.

ومن الأدلة أيضا قوله تعالي (إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون)

وفي التفسير الميسر (إن أولئك المشركين كانوا في الدنيا إذا قيل لهم: لا إله إلا الله، ودُعوا إليها، وأُمروا بترك ما ينافيها، يستكبرون عنها وعلى من جاء بها).

وأيضا قال سبحانه (أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون بل قالوا إنا وجدنا آباءنا علي أمة وإنا علي آثارهم مهتدون وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا علي أمة وإنا علي آثارهم مقتدون)

قال ابن كثير

(يَقُولُ تَعَالَى مُنْكِرًا عَلَى الْمُشْرِكِينَ فِي عِبَادَتِهِمْ غَيْرَ اللَّهِ بِلَا بُرْهَانٍ وَلَا دَلِيلٍ وَلَا حُجَّةٍ: ﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ﴾ أَيْ: مِنْ قَبْلِ شِرْكِهِمْ، ﴿فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ﴾ أَيْ: فِيمَا هُمْ فِيهِ، أَيْ: لَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، كَقَوْلِهِ: ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾ أَيْ: لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾ أَيْ: لَيْسَ لَهُمْ مُسْتَنَدٌ(١) فِيمَا هُمْ فِيهِ مِنَ الشِّرْكِ سِوَى تَقْلِيدِ الْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ، بِأَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى أُمَّةٍ، وَالْمُرَادُ بِهَا الدِّينُ هَاهُنَا، وَفِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾

وَقَوْلُهُمْ: ﴿وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ﴾ أَيْ: وَرَائِهِمْ ﴿مُهْتَدُونَ﴾ ، دَعْوَى مِنْهُمْ بِلَا دَلِيلٍ.

ثُمَّ بَيَّنَ تَعَالَى أَنَّ مَقَالَةَ هَؤُلَاءِ قَدْ سَبَقَهُمْ إِلَيْهَا أَشْبَاهُهُمْ وَنُظَرَاؤُهُمْ مِنَ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ الْمُكَذِّبَةِ لِلرُّسُلِ، تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ، فَقَالُوا مِثْلَ مَقَالَتِهِمْ: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الذَّارِيَاتِ: ٥٢، ٥٣] ، وَهَكَذَا قَالَ هَاهُنَا: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ﴾ أَيْ: يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ: ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ أَيْ: وَلَوْ عَلِمُوا وَتَيَقَّنُوا صِحَّةَ مَا جِئْتَهُمْ بِهِ، لَمَا انْقَادُوا لِذَلِكَ بِسُوءِ قَصْدِهِمْ وَمُكَابَرَتِهِمْ لِلْحَقِّ وَأَهْلِهِ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ أَيْ: مِنَ الْأُمَمِ الْمُكَذِّبَةِ بِأَنْوَاعٍ مِنَ الْعَذَابِ، كَمَا فَصَّلَهُ تَعَالَى فِي قَصَصِهِمْ، ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ ؟ أَيْ: كَيْفَ بَادوا وهلكوا، وكيف نجى الله المؤمنين؟)) انتهي كلامه.

8) الكفر بالطاغوت

والطاغوت في اللغة : من الطغيان أي مجاوزة الحد .

وفي الشرع : قال في التيسير (وقد فسَّره السلف ببعض أفراده. قال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: الطاغوت: الشيطان. وقال جابر ـ رضي الله عنه ـ "الطواغيت: كهان كانت تنْزل عليهم الشياطين". رواهما ابن أبي حاتم. وقال مجاهد: "الطاغوت: الشيطان في صورة الإنسان، يتحاكمون إليه وهو صاحب أمرهم". وقال مالك: الطاغوت: كل ما عبد من دون الله).انتهي

ويجمعها قول ابن القيم في اعلام الموقعين (الطاغوت ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع، فطاغوت كل قوم مَن يتحاكمون إلى غير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة الله ، فهذه طواغيت العالم إذا تأملتها، وتأملت أحوال الناس معها رأيت أكثرهم عدلوا عن عبادة الله إلى عبادة الطاغوت، وعن التحاكم إلى الله وإلى الرسول صلى الله عليه وسلم إلى التحاكم إلى الطاغوت، وعن طاعته ومتابعة رسوله إلى طاعة الطاغوت ومتابعته) . انتهي .

واشترط بعض العلماء أن يدعو إلي ذلك أو لا يدعو لكن يرضي به أو لا يرضي لكن لا يكره ،وذلك حتي يخرج الأنبياء الذين عبدوا مع الله سبحانه كعيسي ، وموسي ، والعزير،ومحمد عليهم الصلاة والسلام ،والملائكة ، والشمس والقمر وغيرها من المعبودات التي عبدها الناس

وبعضهم فرق بين الطاغوت في حقيقته وبين اتخاذ الناس له طاغوتا ، فمن كره ذلك فليس بطاغوت ، وإنما الطاغوت من عبده ، وإن اتخذه المشركون طاغوتا فهو عندهم طاغوت باعتبار اتخاذهم هم له كذلك وعبادتهم إياه ، أو اتباعه علي خلاف هدي رسول الله ، أوطاعته فيما هو من معصية الله ، أي هو طاغوت باعتبار المتخِذ لا باعتبار المتخَذ، وهذا هو ظاهر كلام ابن القيم السابق ، فمعني كلامه أنه طاغوت باعتبار عابده ، طاغوت باعتبار متبعه ، طاغوت باعتبار مطيعه ، أي هم الذين اتخذوهم طواغيت ، لأنه اشترط مجاوزة العبد حده ، والأنبياء الذين عبدهم الناس مع لله سبحانه نشهد أنهم بلغوا ونصحوا أممهم وحذروهم من هذا الشرك الذي طبق الأرض وستشهد أمة محمد لهم يوم القيامة ، وأما من رضي فهو طاغوت بذاته.

قال الشيخ محمد في الدرر السنية :

(وَالطَّوَاغِيتُ كَثِيرُة، وَرُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ: إِبْلِيسُ لَعَنَهُ الله، وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ - أو لم يرض لكن لم يكره -، وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ، وَمَنْ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ، وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ الله)

قال العصيمي في شرح فتح المجيد :

((ولذلك فأنواع الطواغيت ثلاثة :

طواغيت عبادة ، وطواغيت اتباع ، وطواغيت طاعة ، فإلي هذه الثلاثة تعود طواغيت العالم .

وجماع ما قيل في الطاغوت يعود لأحد أمرين :

الأول : معني خاص وهو الشيطان ، وهو المعني المراد عند إطلاق ذكره في القران .

الثاني : معني عام ، وأحسن ما قيل فيه ما سبق من كلام ابن القيم في إعلام الموقعين أنه كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع))انتهي كلامه .

والطواغيت بذواتهم كفار العابد والمعبود ، أما العابد فلأنه يعبد غير الله ، وأما المعبود فبشرط أن يكون داعيا لذلك أو راضيا به أو غير كاره له فاستحقوا أن يوصفوا بذلك ، فخرج من اتخذه المشركون طاغوتا وليس بطاغوت كمن لم يرض .

واعلم أن الطغيان لا ينحصر في عمل الكفر الأكبر المخرج من الملة بل ارتكاب المعاصي والكبائر والبدع غير المخرجة من الملة وأفراد الشرك الأصغر هي من الطغيان أيضا وإن كانت لا تخرج من الملة كما هو معتقد الجماعة خلافا للخوارج .

قال الشيخ محمد رحمه الله كما في الدرر السنية في بيان صفة الكفر بالطاغوت والإيمان بالله:

(اعلم – رحمك الله – أن أول ما فرض الله علي ابن آدم الكفر بالطاغوت والإيمان بالله فأما صفة الكفر بالطاغوت: فأن تعتقد بطلان عبادة غير الله، وتتركها، وتبغضها، وتكفر أهلها، وتعاديهم، وأما معنى الإيمان بالله، فأن تعتقد أن الله هو الإله المعبود وحده، دون من سواه، وتخلص جميع أنواع العبادة كلها لله، وتنفيها عن كل معبود سواه، وتحب أهل الإخلاص، وتواليهم، وتبغض أهل الشرك وتعاديهم، وهذه ملة إبراهيم التي سفه نفسه من رغب عنها، وهذه هي الأسوة التي أخبر الله بها في قول: ه {قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءاء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده} **انتهي كلامه** .

وقال في (3- 19):

(أصل دين الإسلام وقاعدته أمران: الأول :الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، والتحريض على ذلك، والموالاة فيه، وتكفير من تركه، الثاني: الإنذار عن الشرك في عبادة الله، والتغليظ في ذلك، والمعاداة فيه، وتكفير من فعله)انتهي .

ودليل الكفر بالطاغوت بهذه الصفة وهذه الشعب الخمس قوله تعالي في سورة الممتحنة :

(قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ)

قال الطبري في تفسيره :

(يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب رسول الله ﷺ: قد كان لكم أيها المؤمنون أُسوة حسنة: يقول: قدوة حسنة في إبراهيم خليل الرحمن، تقتدون به، والذين معه من أنبياء الله ، حين قالوا لقومهم الذين كفروا بالله، وعبدوا الطاغوت: أيها القوم إنا برآء منكم، ومن الذين تعبدون من دون الله من الآلهة والأنداد، يقول جلّ ثناؤه مخبرا عن قيل أنبيائه لقومهم الكفرة: كفرنا بكم، أنكرنا ما كنتم عليه من الكفر بالله وجحدنا عبادتكم ما تعبدون من دون الله أن تكون حقًّا، وظهر بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدًا على كفركم بالله، وعبادتكم ما سواه، ولا صلح بيننا ولا هوادة، حتى تؤمنوا بالله وحده، يقول: حتى تصدّقوا بالله وحده، فتوحدوه، وتفردوه بالعبادة) .

وقال الشيخ الأمين في أضواء البيان :

(فالتَّأسِّي هُنا في ثَلاثَةِ أُمُورٍ:
أوَّلًا: التَّبَرُّؤُ مِنهم ومِمّا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ.
ثانِيًا: الكُفْرُ بِهِمْ.
ثالِثًا: إبْداءُ العَداوَةِ والبَغْضاءِ وإعْلانُها وإظْهارُها أبَدًا إلى الغايَةِ المَذْكُورَةِ حَتّى يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وحْدَهُ، وهَذا غايَةٌ في القَطِيعَةِ بَيْنَهم وبَيْنَ قَوْمِهِمْ، وزِيادَةٌ عَلَيْها إبْداءُ العَداوَةِ والبَغْضاءِ أبَدًا، والسَّبَبُ في ذَلِكَ هو الكُفْرُ، فَإذا آمَنُوا بِاللَّهِ وحْدَهُ انْتَفى كُلُّ ذَلِكَ بَيْنَهم.)انتهي

ودليل السنة قول النبي صلي الله عليه وسلم كما في صحيح مسلم من حديث طارق بن أشيم

(من قال لا اله الا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه علي الله)

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتاب الوحيد في شرح هذا الحديث :

(وهذا من أعظم ما يبين معني لا اله الا الله ، فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصما للدم والمال ، بل ولا معرفة معناها مع لفظها ، بل ولا الإقرار بذلك كله ، بل ولا كونه لا يدعو الا الله وحده لا شريك له ، بل لا يحرم ماله ودمه حتي يضيف الي ذلك الكفر بما يعبد من دون الله ، فإن شك أوتردد لم يحرم ماله ودمه ، فيا لها من مسألة ما أجلها ويا له من بيان ما أوضحه ، وحجة ما اقطعها للمنازع) .

فالكفر بالطاغوت وهو ركن من ركني الشهادة مع الإيمان بالله يكون تحقيقه بهذه الأمور الخمسة السابقة ، فتكفر بالوثن وأنه ما عبد إلا بالجورعلي حق الله وأنه لا يستحق من العبادات شيئا ، وتكفربعبادة الوثن وأنها باطلة محبطة لجميع اعمال صاحبها ، وتكفر بمن عبد الوثن وأنه قد كفر وانسلخ من الملة الحنيفية ، مع عداوته وبغضه التام في الله .

وعلي هذا فمن لم يُكفِّر المشركين أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم كفر إجماعا ؛ لأنه لم يكفر بالطاغوت فيكون قد أسقط ركنا من ركني لا إله إلا الله وشرطا من شروط صحتها بل عدة شروط كاليقين والإخلاص والقبول وغيرها من شروط الشهادة التي تقدم بيانها فلن تنفعه الشهادة ، وأيضا لتكذيبه للنصوص الواردة في الكتاب والسنة بكفرهم ، ولأنه لم يكفر بما يعبد من دون الله ، ولم يتبرأ ممن عبد غير الله ولو كان كافرا بالطاغوت لكفرهم ، غير أنه يكون مكذبا لله ورسوله في عدم تكفيره لهم أو تصحيحه لدينهم كما هو حال دعاة وحدة الأديان ، ولأن اليهود والنصاري وعباد القبور وغيرهم من المشركين كفرهم معلوم من الدين بالضرورة فمن لم يكفرهم أو شك في كفرهم أو صحح دينهم كفر كفر تكذيب وإنكار .

وتكفير من لم يكفر الكافر مجمع عليه بلا خلاف وقد تواترت اقوال لسلف في ذلك ، منها :

- قال الإمام أحمد بن حنبل في رواية عبدوس: والقرآن كلام الله تكلم به، ليس بمخلوق ومن زعم أنّ القرآن مخلوق فهو جهمي كافر، ومن زعم أنّ القرآن كلام الله ووقف ولم يقل ليس بمخلوق فهو أخبث من قول الأول، ومن زعم أنّ ألفاظنا به، وتلاوتنا له مخلوقة، والقرآن كلام الله فهو جهمي، ومن لم يكفر هؤلاء القوم فهو مثلهم ، وقال أيضاً: وما في اللوح المحفوظ وما في المصحف وتلاوة الناس وكيفما وُصف، فهو كلام الله غير مخلوق، فمن قال مخلوق، فهو كافر بالله العظيم، ومن لم يكفره فهو كافر.)

- وقال ابن أبي حاتم كما في شرح أصول الاعتقاد للالكائي : "سألت أبي وأبا زرعة؛ عن مذاهب أهل السنة في أصول الدين، وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار، وما يعتقدان من ذلك؛ فقالا: أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازاً وعراقاً وشاماً ويمناً؛ فكان من مذهبهم: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، والقرآن كلام الله غير مخلوق بجميع جهاته...، ومن زعم أن القرآن مخلوق؛ فهو كافر بالله العظيم كفراً ينقل عن الملة، ومن شك في كفره ممن يفهم فهو كافر"

- وقال الليث بن سعد كما في الانتصار في الرد علي المعتزلة القدرية (من قال القران مخلوق فهو كافر ، ومن لم يقل هو كافر فهو كافر)

- وقال يزيد بن هارون كما في الإبانة (من قال القران مخلوق فهو كافر ، ومن لم يكفره فهو كافر ، ومن شك في كفره فهو كافر)

- وقال القاضي عياض كما في الشفا (الإجماع علي كفر من لم يكفر أحدا من النصاري واليهود ، وكل من فارق دين المسلمين أو وقف في تكفيرهم أو شك ....لأن التوقيف والإجماع اتفقا علي كفرهم ، فمن وقف فيي ذلك فقد كذب النص والتوقيف ، أو شك فيه ، والتكذيب أوالشك فيه لا يقع إلا من كافر .... ولهذا نكفر من دان بغير ملة المسلمين من الملل، أو وقف فيهم، أو شك، أو صحّح مذهبهم، وإن أظهر مع ذلك الإسلام، واعتقده، واعتقد إبطال كل مذهب سواه، فهو كافر بإظهاره ما أظهر من خلاف ذلك) انتهي كلام القاضي من عدة مواضع من كتابه مع العلم أنه علي طريقة الاشاعرة في بعض مسائل العقيدة فلتحذر.

- وقال ابن تيمية في المجموع (7-463) :

(فن لم يقر باطنا وظاهرا بأن الله لا يقبل دينًا سوى الإسلام فليس بمسلم، ومن لم يقر بأن بعد مبعث محمد -صلى الله عليه وسلم- لن يكون مسلمًا إلا من آمن به واتبعه باطنًا وظاهرًا فليس بمسلم، ومن لم يحرم التدين بعد مبعثه -صلى الله عليه وسلم- بدين اليهود والنصارى، بل من لم يكفرهم ويبغضهم فليس بمسلم باتفاق المسلمين) انتهي .

- وقال ابن حزم في الفصل (فأخبر تعالي أنهم يعرفون صدقه ولا يكذبونه وهم اليهود والنصاري وهم كفار بلا خلاف من أحد من الأمة ، ومن أنكر كفرهم فلا خلاف من أحد من الأمة في كفره وخروجه عن الإسلام) .

لكن كفر من لم يكفر الكفر له شرطان خلافا للخوارج :

الأول : أن يكون كفره واضحا متفقا عليه لا خلاف فيه ، خلافا لترك الصلاة كسلا مع الإقرار بوجوبها فإنه وإن كان الصحابة مجمعون إجماعا صحيحا أن تركها كفر أكبر مخرج من الملة إلا أن الخلاف حاصل بعد اتفاقهم لا ينكره إلا جاحد فلا نكفر من لم يكفر تارك الصلاة كسلا ، لكن نكفر من لم يكفر تاركها جحودا فهذا اتفقوا أنه كفر ولهذا كفروا من لم يكفر تاركها جحودا لفرضيتها .

الثاني : أن يكون المتهم بالكفر للتوقف أو الشك عالما بكفر من وقع في الكفر ، فإن كان لا يعلم فلا يقال هو كافر لأنه لم يكفر الكافر .

فقول الشهادة إنما ينفع صاحبه اذا اعتقد شرائطها وحققها قولا وعملا بالعلم بمعناها والعمل بمقتضاها .